قال ابن هشام: في ضربِ حَسَّانَ وصاحبيه [من الطويل]:

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ ... وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيراً وَمِسْطَحُ[1]

تَعَاطَوْا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ ... وَسَخْطَةَ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأُتْرِحُوا[2]

وَآذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَجُلِّلُوا ... مَخَازِيَ تَبْقَىٰ عَمَّمُوهَا وَفُضِّحُوا

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٌ كَأَنَّهَا ... شَآبِيبُ قَطْرٍ مِنْ ذُرَىٰ الْمُزْنِ تَسْفَحُ [٨١٠][3]

أَمْرُ الحُدَيْبِيَةِ[4]، في آخر سنة سِتٍّ، وَذِكْرُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ والصلحُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وبين سُهَيْل بن عَمْرو

غزوة الحديبية

قال ابن إسحاق: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ شَهْرَ رَمَضَانَ وشوالاً، وخَرَجَ في ذي

---

[٨١٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٨٧) عن ابن إسحاق.

---

(١) الهَجيرُ: الهُجْرُ هنا، وهو القولُ الفاحِشُ القبيحُ.

(٢) الرَّجْمُ: الظَّنُّ هنا، فَأُتْرِحوا، أي: أُحزِنُوا من التَّرَحِ وهو الحُزن. وَمَنْ رواهُ فأبْرِحُوا بالباء فهو من البَرْحِ، وهو المَشَقَّةُ والشِّدَّة.

(٣) مُحْصَداتٌ، يعني: سِيَاطاً مُحكَمةَ الفَتْل شديداتٍ.
الشآبيبُ: جَمْعُ شُؤبوبٍ، وهي الدفعة من المطر.
والذُّرَىٰ: الأعالِي، والمُزْنُ: السَّحاب. وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٨٦).

(٤) عامَ الحُدَيْبِيَةِ: الحُدَيْبِيَةُ يقال بالتَّخفيف والتَّشديد وهي قَرْيةٌ لَيْست بِكبيرةٍ، بينها وبين مكَّة مَرْحلةٌ واحدةٌ، وبينها وبين المدينة تِسْعُ مَراحِل، وَيُقال: إنَّ بَعْضَها من الحِلِّ وبعضَها منَ الحَرَم، ويُقَال: إنَّما سُمِّيت الحُدَيْبية بِبِئرٍ فيها يُقال لها: الحُدَيْبِيَةُ.
قال الصالحي في السبل: الحُدَيْبِيَة: بحاء مهملة مضمومة، فدال مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مَفْتُوحة. قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وأَهل اللغة وبعض أَهل الحديث ـ رحمهم الله ـ: التَّخْيِيَّة مخففة. وقال أَكثر أَهل الحديث مُشَددة. قال النووي ـ رحمه الله ـ فهما وَجْهَان مشهوران.
وقال في المطالع: ضبطنا التخفيف عن المُتقِنين، وأَما عامة الفُقَهاء والمُحَدِّثين فيشدِّدُونَها. وقال البكري ـ رحمه الله ـ: أَهلُ العراق يُشَدِّدُون، وأَهْلُ الحجازِ يُخففون.
وقال النحاس ـ رحمه الله ـ: سأَلت كلَّ مَنْ لقيتُ مِمَّن أَثِقُ بعلمه عن «الحديبية» فلم يختلفوا عن قراءتها مخففة.
قال أَحمد بن يحيى ـ رحمه الله ـ: لا يجوزُ فِيهَا غيره، ونصّ في البارع على التخفيف. وحكى التَّشْدِيدَ ابن سيده ـ رحمه الله ـ في المحْكَم، قال في تهذيب المطالع: ولم أَره لغيره، وأَشار بعضُهم إلى أَنَّ التثقيل لم يُسْمَع حتى يَصح، ووجهُهُ أن التَّثقِيلَ إنما يكون في المنسوب، نحو =

القعدة مُعْتَمِراً (٢١١/أ) لا يريدُ حَرْباً[١].

قال ابن هشام: واستعملَ على المدينةِ نُمَيْلَةَ بْنَ عَبْدِ اللّه الليثي [٨١١].

رسول الله يستنفر الناس

قال ابن إسحاق: واسْتَنْفَرَ العَرَبَ ومَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ البَوَادِي من الأعرابِ لِيَخْرُجُوا معه، وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الذي صَنَعُوا أَنْ يَعْرِضُوا له بِحَرْبٍ أَوْ يَصُدُّوه عَنِ البَيْتِ، فَأَبْطَأَ عليه كَثِيرٌ من الأعرابِ، وخرج رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المهاجرين والأنصارِ وَمَنْ لَحِقَ به من العربِ، وَسَاقَ معه الهَدْيَ، وَأَحْرَمَ بالعُمْرَةِ لِيَأْمَنَ الناسُ مِنْ حَرْبِهِ وَليعلم الناسُ أنه إنما خَرَجَ زائراً لهذا البيتِ ومُعَظِّماً له [٨١٢].

هدي رسول الله

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي محمدُ بْنُ مسلم بن شهاب الزهري، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزبير، عن مِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوَانَ بن الحكم أَنَّهُما حَدَّثاه قالا: خَرَجَ رسولُ اللّهِ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ البيت، لا يُرِيدُ قتالاً، وسَاقَ معه الهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنةٍ، وَكَانَ النَّاسُ سبعمائة رَجُلٍ[٢]؛ فَكَانَتْ كُلُّ بدنةٍ عَنْ عشرةِ نَفَرٍ، وَكَانَ جَابر بْنُ عبد الله ـ فيما بلغني ـ

---

[٨١١] ينظر «تاريخ الطبري» (٢/٦١٩) و«الدر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٢٢) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٩٠ ـ ٩١) و«البداية والنهاية» (٤/١٨٨).

[٨١٢] ينظر المصادر السابقة.

= الإسْكندريَّة فإنها منسوبة إلى الاسكندر، وأمَّا الحُديبية فلا تعقلُ فيها النِّسْبَة، وياءِ النسبة في غير مَنْسُوب قليلة، ومع قلته موقوف على السماع. والقياسُ أن يكون أصلها حَذْبَاء بزيادة «ألِف للإلحاق ببنات الأربعة، فلما صغرت انقلبت الألفُ ياء»، وقيل: حُدَيْبَة، وشهد لصحة هذا أقوالهم لُبَيْلَة بالتَصغير، ولَمْ يَرِدْ لَها مُكَبَّر فَقَدَّره الأئِمة ليلة؛ لأن المُصَغَّر فرعُ المُكَبَّر، ويمتنعُ وجودُ فرعٍ بدون أَصْلِه.

قال المحب الطبري ـ رحمه الله ـ: هي قرية من مكة أكثرها في الحرم.

وفي صحيح البخاري عن البراء «الحديبية» بِئر. قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: يُشِيرُ إلى أنَّ المكان المعروف بالحُدَيْبِيَة سمي ببئرٍ كانت هنالك، هذا أسمها، ثم عُرِفَ المكانُ كُلُّه بذلك، وبَيْنَها وبين مكة نحو مرحلة واحدة، وبين المدينةِ تِسْعُ مَرَاحل. ينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٦٩ ـ ٧٠).

(١) قَالُوا: كانت سَنَةَ ستّ، قاله الجمهور، في ذي القِعْدة، وقال هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عن أبيه ـ رحمهما الله ـ: في شوال، وشَذَّ بذَلِكَ هِشَامُ عن الجمهور. وقد وافق أبو الأسود عن عُرْوَة الجمهور. وفي البخاري عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ إلاَّ فِي ذِي القِعدَة، وفيه عن أَنَس ـ رضي الله عنه ـ اعْتَمَرَ رَسولُ الله ـ ﷺ ـ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُهن فِي ذِي القِعْدَة، فذكر منها عُمْرَةَ الحُديبية. ينظر السبل (٥/ ٧٠).

(٢) اخْتَلَفَت الرواياتُ في عِدَّةِ مَن كَان مع رسول الله ـ ﷺ ـ فيها، فَفِي رِوَايَةِ عبد العزيز الأَفاقي عن =

يقولُ: كُنَّا أَصْحَابَ الحديبيةِ أَرْبَعَ عشرة مائة، قَالَ الزهري: وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حتى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بشرُ بْنُ سفيان الكعبي.

= الزُّهْرِي في حديث المِسْوَر، ومروان: ألف وثمانمائة.

وفي رواية إِسْرَائيلَ عن أَبي إِسْحَاقَ عن البراء: كُنَّا أَربع عشرة مائة.
وفي رواية زهير بن معاوية عن أَبي إِسْحَاق كانوا ألفاً وأَربعمائة أَو أَكثر.
وفي رواية لسالم بن أَبي الجَعْد عن جابر: أَنَّهم كانوا خَمْسَ عَشْرة مائة، وكذلك رواية سَعِيدِ بنِ المُسَيِّب عنه، وكذلك رواية ابن أَبي شَيْبَة عن مُجَمِّع بن جارية.
قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: والجمْعُ بين هذا الاختلاف أَنهم كانوا أَكثر من أَلفٍ وأَربعمائة، فَمَنْ قال: ألف وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال: ألف وأَربعمائة ألغاه. ويؤيده قول البراء في رواية عنه: كُنَّا ألفاً وأَربعمائة أَو أَكثر، وٱعتمد على هذا الجمع النووي ـ رحمه الله. وأَما البيهقي ـ رحمه الله ـ فَمَالَ إِلى التَّرجيح، وقال: إِن رِوَايَةَ مَنْ قال ألفاً وأَربعمائة أَرجح، ثم روى مِنْ طريق أَبي الزبير ومن طريق سفيان بن عمر بن دينار، كِلاَهُمَا عَن جابر كذلك.
ومن رواية مَعْقل بن يَسَار عن سَلَمَةَ بنِ الأَكوع، والبراء بن عازب ومِنْ طريق قَتَادَة عن سَعِيدِ بنِ المُسَيِّب عن أَبيه، ومعظم هذه الطرق عن مسلم.
ووقع عند ابن سعد ـ رحمه الله ـ في حديث مَعْقل بن يَسَارٍ: زُهَاءَ ألف وأَربعمائة، وهو أَيضاً في عدم التَحْدِيد.
وأَما قولُ عبد اللّه بن أَبي أَوفى ـ رحمه الله ـ: كُنَّا ألفاً وثلثمائة كما رواه البخاري، فَيُمْكن حَمْلُه على ما أَطْلَعَ عليه، وأَطلع غيْره على زيادة أُنَاس لم يَطَّلِعْ هو عليهم، والزيادة مِنَ الثِّقَة مقبولة. أَو العَدَد الَّذِي ذَكَرهُ عَدَد المُقَاتِلة. والزِّيَادَةُ عليها من الأَتْبَاع ومن الخَدَمِ والنِّسَاءِ والصِّبْيَان الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُم.
وأَمَّا قَوْلُ ابن إِسحاقِ ـ رحمه الله ـ: إِنَّهُم كانُوا سبعمائة فَلَمْ يُوَافِقه أَحد عَلَيه، لأَنه قَالَهُ ٱسْتِنْباطاً من قَوْلِ جَابر ـ رضي الله عنه ـ: نحرنا البَدَنَةَ عن عَشْرَةٍ، وكَانُوا نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَة. وهذا لاَ يَدُلُّ على أَنَّهُم لم ينحروا غير البُدْن، مَعَ أَنَّ بَعْضَهُم لم يكن أَحْرَمَ أَصْلاً. وقال ابنُ القَيِّم: مَا ذَكَرَه ٱبنُ إِسْحَاق غَلَطٌ بَيِّن، وٱسْتَدَلَّ به مِنْ أَنهم نَحَرُوا سَبْعين بدنة، والبدنة جاء إِجزاؤها عن سبعة وعن عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله: فإِنَّه قَدْ صَرَّحَ أَن البَدَنَة في هذه العُمْرَة عن سَبْعَة، فلو كانت السَّبْعُونَ عنْ جَمِيعِهِمْ كانوا أَربعمائة وتسعين رجلاً، وقد قَالَ فِي تَمَامِ الحَدِيثِ بعَيْنه: إِنَّهم كَانُوا أَلْفاً وأَربعمائة.
وأَمَّا مَا وقَعَ في حَدِيثِ المِسْوَر ومَرْوَان عن البُخَاري أَنهم خرجُوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ بضع عشرة مائة، فَيُجْمَعُ أَيْضاً بأَنَّ الَّذِين بَايَعُوا كَانُوا كما تقدم. وأَمَّا الَّذِينَ زَادُوا على ذَلِكَ فَكَانُوا غَائبين عنها، كَمَنْ تَوَجَّه مع عثمان ـ رضي الله عنه ـ إِلى مَكَّة، على أَنَّ لَفْظَ البِضْع يَصْدُق على الخمس والأَربع، فلا تَخالف.
وَجَزَمَ ابنُ عقبة بأَنَّهم كَانُوا أَلْفاً وستمائة، وفي حديث سَلَمة بن الأَكوع عند ابن أَبي شَيْبَةَ أَلْفاً وسَبْعمَائة.
وحكى ابنُ سَعْد: أَنهم كانوا أَلْفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين. وهذا إِنْ ثَبَتَ تَحْرِيرٌ بالغ.
وزاد ابن مَرْدَويه عن ٱبن عبَّاس، وفيه ردٌّ على ابن دِحْية، حيْثُ زَعَمَ أَنَّ سَبَبَ الاختلاف في عددهم، أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ عَدَدَهُم لم يَقْصِد التَّحديد، وإِنما ذكره بالحَدْسِ والتَّخمِين.
ينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٧٠ ـ ٧١).

قال ابن هشام: ويُقال بُسْر.

بشر بن سفيان يخبر رسول الله باجتماع قريش له

فَقَالَ: يا رسولَ اللّهِ، هذه قريشٌ قد سَمِعَتْ بمسيرِكَ فَخَرَجُوا معهم العُوذُ المَطَافِيلُ(١) قد لَبِسُوا جُلُودَ النُّمور(٢) وقد نَزَلُوا بـ «ذي الطوى»، يُعَاهِدُونَ الله لا تَدْخُلها عليهم أبداً، وهذا خالدُ بْنُ الوليد في خَيْلهم قد قَدَّمُوها إلى كُرَاع الغَميم، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ!! لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الحَرْبُ، ماذا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ العَرَبِ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُوني كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي الله عليهم، دَخَلُوا في الإِسْلاَمِ وَافِرِينَ، وإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ، فَوَاللّهِ لاَ أَزَالُ أُجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ(٣)» ثم قال: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا»؟ [٨١٣].

رسول الله يسلك غير طريق قريش

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَسْلَمَ قال: أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ، قال: فَسَلَكَ بهم طريقاً وَعْراً أَجْرَلَ(٤) بَيْنَ شِعَابٍ(٥)، فلمَّا خَرَجُوا منه وَقَدْ شَقَّ ذلك عَلَى المُسْلِمِينَ وأَفْضَوْا إلى أرضٍ سَهْلَةٍ عند مُنْقَطَعِ الوَادِي قال رسولُ الله ﷺ للناس: «قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَنَتُوبُ إليه» فقالوا ذلك، فقال: «وَاللّهِ، إِنَّهَا لَلْحِطَّةُ(٦) الَّتِي عُرِضَتْ

---

[٨١٣] إسناده حسن والحديث صحيح.
أخرجه البخاري (٥/ ٦٧٥ ـ ٦٨٠) كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد، حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢، ٢٧٣٣) وأحمد (٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣١) وعبد الرزاق (٩٧٢٠) وأبو داود (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) كتاب الجهاد: باب في صلح العدو، حديث (٢٧٦٥، ٢٧٦٦) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٩ ـ ١٦) رقم (١٣) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٩٩) كلهم من طريق الزهري به.

---

(١) العُوذُ من الإبل: جَمْعُ عائذٍ وهي التي لما تلد، وَالمطَافِل جمعُ مُطْفِل، وهي التي لها طِفْلٌ، أي: ولد، فاستعاره ها هنا للنِّساءِ والصِّبْيان، يعني أَنَّهم خَرَجُوا بنسائهم وأَوْلادِهم لِئَلاَّ يفرُّوا عنهم.
(٢) النُّمورُ: جَمْعُ نَمِرٍ، وهو ضَرْب من السِّباع، وهو مَثَلٌ يُكْنَى به على إِظْهار العَداوة، يقال للرَّجُلِ الذي يُظْهر العداوةَ والتَّنَكُّرَ: لَبِسَ له جِلْدَ النَّمِر.
(٣) السَّالِفَةُ: صَفْحَةُ العُنُق.
(٤) وَعْراً أَجْرَلَ، الأَجْرَلُ: الكثيرُ الحِجارَة، ومَنْ رواه: أَجْرَدَ، فمعناه: ليس فيه نَبَاتٌ.
(٥) الشِّعَابُ: المَوَاضِعُ المُنْخَفِضَة بَيْن الجبال.
(٦) إِنَّها لَلْحِطَّةُ: يريد قولَ اللّه تعالى لِبَني إِسرائيلَ: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾. قال المُفسِّرون، مَعْناه: اللَّهُمَّ حُطَّ عنّا ذُنوبَنا، ومَن رَواه: لَلْخُطَّةُ بالخاء المعجمةِ المضمومةِ فَمَعْناه: الخَصْلَةُ والفَضيلَةُ.

عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا».

قال ابن شهاب: فَأَمَرَ رسُولُ اللّه ﷺ النَّاسَ، فقال: «اسْلُكوا ذَاتَ اليَمِينِ» بَيْنَ ظَهْرَي الحَمْضِ[1] في طريقٍ تُخْرِجُهُمْ على ثَنِيَّةِ المَرارِ مَهْبِطِ الحُدَيْبية مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، قال: فَسَلَكَ الجيشُ ذلك الطريقَ، فلمَّا رَأَتْ خيلُ قريش قَتَرَةَ الجيش[2] قَدْ خَالَفُوا عن طريقِهِمْ رَجَعُوا رَاكِضِينَ إلى قُريش، وَخَرَجَ رسولُ اللّهِ ﷺ حتى إذا سَلَكَ في ثَنِيَّةِ المِرَارِ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فقال النَّاسُ: خَلأَتِ[3] الناقةُ، فقال: «مَا خَلأَتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ عَنْ مَكَّةَ؛ لاَ تَدْعُونِي قُرَيْشٌ اليَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ[4] يَسْأَلُونني فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

رسول الله ينزل على غير ماء

ثم قال للناس: «انْزُلُوا» قيل له: يا رَسُولَ اللّهِ، ما بالوادِي ماءٌ يُنْزَلُ عليه، فَأَخْرَجَ سَهْماً من كِنَانَتِهِ فَأَعْطَاهُ رجُلاً مِنْ أصحابه، فَنَزَلَ به في قليب[5] مِنْ تِلْكَ القُلُبِ فَغَرَزَهُ في جَوْفِهِ، فَجَاشَ[6] بالرَّوَاءِ[7] حَتَّى ضَرَبَ الناس عنه بَعَطَنٍ[8] [٨١٤].

قال ابن إسحاق: فحدثني بعْضُ أهلِ العلم، عن رِجَالٍ من أسلم، أن الذي نَزَلَ في القليبِ بِسَهْمِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ناجيةُ بْنُ جُنْدَب[9] بن عُمَيرْ بن يَعْمَر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سَهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن أبي حارثة، وَهُوَ سَائِقُ بُدْنَ رسولِ الله ﷺ.

---

[٨١٤] إسناده ضعيف؛ لإرساله.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٦٢٣) من طريق ابن اسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٨٩) عن ابن إسحاق.

---

(١) الحَمْضُ: ما مَلُحَ منَ النبَاتِ، وهو هُنا: اسم موضعٍ.
(٢) قَتَرَةُ الجَيْش: غُبَارُه.
(٣) الخِلأُ في الإبل: بمنزلة الحِرَان في الدَّوابّ. وقال بعضهم: لا يقال إلاّ للناقة خاصَّةً.
(٤) الخُطَّة: الخَصْلَة، وقد تقدم.
(٥) القَليبُ: البئر.
(٦) جاشَ، أي: علا وارْتَفَع.
(٧) الرَّواءُ بفتح الراء: الماءُ الكَثيرُ.
(٨) العَطَن: مَبْرَكُ الإبل حَوْلَ الماءِ.
(٩) قال الخشني: في نَسب ناجِيَة بن جُنْدُب بن سَلامان بنَ أسْلَمَ هنا بفتح اللام قيّده ابنُ حَبيب، وكذلك ذكَرَه الدَارَقُطْنِيّ عنه أيضاً.

قال ابن هشام: أَفْصَى بن حارثة [٨١٥].

قال ابن إسحاق: وَقَدْ زَعَمَ لي بَعْضُ أَهْلِ العلم أن البراءَ بْنِ عَازِبٍ كان يقولُ: أنا الذي نَزَلْتُ بِسَهْمِ رسولِ الله ﷺ، فالله أعلم أيُّ ذلك كَانَ [٨١٦].

وقد أَنْشَدَتْ أَسْلَمُ مِنْ شعرٍ قالها ناجية قد ظَنَنَّا أنه هو الذي نزل بالسَّهْم، فَزَعَمَتْ أَسْلَمُ أَنَّ جاريةً من الأنصارِ أَقْبَلَتْ بِدَلْوِهَا وناجيةُ في القليب يميحُ على الناسِ[١]، فقالت [من الرجز]:

يَـأَيُّـهَـا الـمَـائِـحُ دَلْـوِي دُونَـكَـا إِنِّـي رَأَيْـتُ الـنَّـاسَ يَـحْـمَـدُونَـكَـا[٢]

* يُـثْـنُـونَ خَـيْـراً وَيُـمَـجِّـدُونَـكَـا *[٣]

قال ابن هشام: ويروى:

إِنِّـي رَأَيْـتُ الـنَّـاسَ يَـمْـدَحُـونَـكَـا[٤]

قال ابن إسحاق: فقال ناجية، وهو في القليب يَميحُ على الناس [من الرجز]:

قَـدْ عَـلِـمَـتْ جَـارِيَـةٌ يَـمَـانِـيَـهْ أَنِّـي أَنَـا الْـمَـائِـحُ وَاسْـمِـي: نَـاجِـيَـهْ

وَطَـعْـنَـةٍ ذَاتِ رَشَـاسٍ وَاهِـيَـهْ طَعَنْتُهَا عِنْدَ صُدُورِ الْعَادِيَهْ[٥] [٨١٧]

مجيء بديل الخزاعي إلى رسول الله

فقال الزهري في حديثه: فلمَّا اطمأنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أتاه بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاء الخُزَاعِيُّ في رجالٍ من خُزَاعَة فَكَلَّموه وَسَأَلُوهُ ما الذي جَاءَ به، فأخبرهم أنه لم يأتِ يُريدُ حَرْباً، وإِنَّما

---

[٨١٥] إسناده ضعيف.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٨٩) عن ابن إسحاق.

[٨١٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٨٩).

[٨١٧] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) عن ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٨٩).

وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٤٠ ـ ٤١).

---

(١) يَميحُ على النَّاس، يريد: أَنه يَمْلأُ الدِلاء في أَسْفَلِ البئر.

(٢) المائحُ هو: الَّذي في أَسْفَل البئرِ. والماتِحُ هو: الَّذي يَسْتَقِي عليه.

(٣) يُمَجِّدُونك: يَشرُفُونَك، والتَّمْجيدُ: التَّشْريفُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٨٩).

(٤) إِنِّي رأَيتُ الناس يَمْدَحُونَكَ، ويُرْوَى: يَمْنَحونك، ومعناه: يُعْطونَكَ دِلاَءَهُمْ.

(٥) الواهِيَةُ: المُسْتَرخِيَةُ الواسِعَةُ الشَّقّ، والعَادِيةُ: القومُ الَّذين يَعْدُون أَي: يُسْرِعون، والعَدْوُ: الإِسْراعُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٨٩).

جَاءَ زائراً للبيتِ، ومُعَظِّماً لحرمتِهِ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشرِ بْنِ سُفْيَانَ، فرجعوا إلى قريشٍ، فقالوا: يَا مَعْشَرَ قريشٍ، إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ على محمدٍ، إنَّ محمداً لم يأتِ لقتالٍ، وإنما جَاءَ زائراً لهذا البيتِ، فَاتَّهَمُوهُمْ وَجَبَّهُوهُمْ[1]، وقالوا: وإنْ كان جَاءَ ولا يريد قتالاً، فواللّهِ لا يدخُلُهَا عَنْوَةً أبداً، ولا تُحَدِّثُ بذلك عنا العرب.

مجيء مكرز بن حفص إلى النبي

قال الزهريُّ: وكانت خزاعَةُ عَيْبَةَ نُصْح رسولِ الله ﷺ[2] مسلمها ومشركها، لا يُخْفُونَ عنه شيئاً كان بمكة، قال: ثم بعثوا إليه مَكْرَزَ بن حَفْصِ بن الأَخْيَفِ أخا بني عامر بن لُؤَيٍّ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ مقبلاً قال: «هذَا رَجُلٌ غَادِرٌ» فلما انتهىٰ إلى رسول الله ﷺ وكلَّمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبُدَيْلٍ وأصحابه، فرجع إلى قُرَيْشٍ فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

قريش تبعث الحليس بن علقمة

ثم بعثوا إليه الحُلَيْسَ بن علقمة أو ابن زَبَّانَ، وكان يومئذٍ سَيِّدَ الأَحَابِيشِ، وهو أحد بني الحرث بن عبد كِنَانَةَ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ[3] فَابْعَثُوا الهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ» فلما رَأَى الهَدْيَ يسيلُ عليه من عُرْض الوادي[4] في قلائِدِهِ[5] وقد أَكَلَ أَوْبَارَهُ من طول الحبسِ عن مَحِلِّه[6]، رجع إلى قريشٍ، ولم يصلْ إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأَىٰ، فقال لهم ذلك، قال: فقالوا له: اجلسْ فإنما أَنْتَ أعرابيٌّ لا عِلْمَ لك [٨١٨].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أن الحُلَيْسَ غَضِبَ عند ذلك، وقال: يَا مَعْشَرَ قريشٍ، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقَدْنَاكُمْ، أَيُصَدُّ عن بيتِ اللّهِ مَنْ جَاءَ مُعَظِّماً له، والذي نَفْسُ الحُلَيْسِ بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له أَوْ لأَنْفِرَنَّ

---

[٨١٨] تقدم تخريجه.

---

(١) جَبَهُوهم. أَي: خاطَبوهم بِما يَكْرَهون، يُقال: جَبَهْتُ الرجُلَ: إذا قابَلْتَه بما يَكْرَه.
(٢) كانت خُزاعةُ عَيْبَةَ نُصْحِ رسولِ الله ﷺ، يُريدُ: خاصَّتَه وأصحابَ سِرِّه، بمنزلة العَيْبَة التي يُودِعُ الإنسان فيها أَحْسَنَ ثيابِهِ وأَسْبَابِهِ.
(٣) يتألهون أي: يتعبَّدُونَ.
(٤) يسيل من عُرْض الوَادِي، أي: يُسْرِعُ. وعُرْضُ الوادي: جانِبُهُ.
(٥) القلائِدُ: ما يُعَلَّقُ في أعناق الهَدْي؛ لِيَعْلِم أنها هَدْيٌ.
(٦) مَحِلُّهُ: موضِعُهُ الذي يُنْحَرُ فيه من الحَرم.

بالأحابيش نَفْرَةَ رجلٍ واحدٍ، قال: فقالوا له: مَهْ[1] كُفَّ عنا يا حُلَيْسُ حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضىٰ به [٨١٩].

قريش تبعث عروة بن مسعود الثقفي

قال الزهْريُّ في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عُرْوَةَ بن مسعود الثقفيَّ، فقال: يا معشرَ قريش، إني قد رأَيْتُ ما يَلْقَىٰ منكم من بَعَثْتُمُوهُ إلى محمد إذا جاءكم من التعنيفِ وسوءِ اللفظِ، وقد عرفتم أنَّكُمْ والدٌ وأَنِّي وَلَدٌ (وكان عروة لِسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس) وقد سَمِعْتُ بالذي نابكم فجمعتُ مَنْ أَطاعَنِي مِنْ قومي ثم جئتُكُمْ حتى آسيتكم بنفسي[2]، قالوا: صدقْتَ ما أنت عندنا بِمُتَّهَم، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فَجَلَسَ بين يديه، ثم قال: يا محمد، أَجمَعْتَ أَوْشَابَ[3] الناسِ ثم جئْتَ بهم إلى بَيْضَتِكَ لِتَفُضَّهَا[4] بهم، إنها قُرَيْشٌ قد خَرَجَتْ معها العُوذُ المَطَافِيلُ، قد لبسوا جُلُودَ النمور، يُعَاهِدُونَ الله لا تدخلها عليه عَنْوَةً[5] أبداً، وَأَيْمُ اللّهِ لكأني بهؤلاءِ قد انْكَشَفُوا[6] عنك غداً، قال: وأبو بكرٍ الصديقُ خَلْفَ رسول الله ﷺ قاعدٌ، فقال: امْصُصْ بَظْر اللاَّتِ، أَنَحْنُ نَنْكَشِفُ عنه؟! قال: مَنْ هذا يا محمدُ؟! قال: «هذَا ابْنُ أَبي قُحَافَةَ» قال: أَمَا واللّهِ لَوْلاَ يدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَكَافَأْتُكَ بِهَا، وَلَكِنْ هَذِهِ بِهَا، قَالَ: ثم جَعَلَ يَتَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وهو يكلِّمه، قال: والمغيرة بن شعبة وَاقِفٌ على رَأْسِ رسولِ الله ﷺ في الحديد، قال: فَجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَهُ إذا تَنَاوَلَ لِحْيَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ويقول: أَكْفُفْ يَدَكَ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ قَبْلَ أَلاَّ تصل إليك، قال: فيقول عُرْوَةُ: وَيْحَكَ!!! ما أَفَظَّكَ وأَغلَظَكَ!!! قال: فَتبسَّم رَسُولُ الله ﷺ فقال له عُرْوَةُ: مَنْ هذا يا محمد؟ قال: «هذَا ابْنُ أَخيكَ المُغَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ» قَالَ: أَيْ غُدَرُ، وهَلَ غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إلاَّ بِالأَمْسِ.

قال ابن هشام: أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قَبْلَ إسلامه قتل ثلاثة عَشَرَ

---

[٨١٩] إسناده ضعيف؛ لإرساله.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٢٨) عن ابن إسحاق.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٠).

---

(١) مَهْ: كلمةٌ بمعنى: اكْفُفْ.
(٢) آسَيْتُكُمْ أي: عاوَنْتُكم.
(٣) الأَوْشابُ: الأخْلاَطُ.
(٤) بَيْضَةُ الرجل: أهْلُهُ وقَبيلَتُهُ، ولتَفُضَّها، أي: لتَكْسِرَهَا.
(٥) العَنْوةُ هنا: القَهْر والغَلَبَةُ.
(٦) انكَشَفُوا، أي: انْهَزَمُوا.

رجلاً من بني مالك مِنْ ثقيف، فَتَهَايَجَ الحَيَّانِ من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأَحْلاَفَ رهط المغيرة، فَوَدَىٰ عروةُ المقتولين ثلاث عشرة ديةً، وأصلح ذلك الأمر.

قال ابن إسحاق: قال الزهريُّ: فكلَّمه رسول الله ﷺ بِنَحْو مما كلَّم به أصحابه وأخبره أنه لم يَأْتِ يريد حَرْباً، فقام من عند رسول الله ﷺ وَقَدْ رَأَىٰ ما يصنع به أصحابه: لا يتوضَّأ إلا ابتدرُوا وَضُوءَهُ، ولا يَبْصُقُ بِصَاقاً إلا ابتدروه، ولا يَسْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ، شيء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال: يا مَعْشَرَ قُرَيْش، إني قد جِئْتُ كِسْرَىٰ في مُلْكِهِ وقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ، والنجاشيَّ في مُلْكِهِ، وإني واللّهِ ما رَأَيْتُ مَلِكاً في قومٍ قَطُّ مِثْلَ محمد في أصحابه؛ ولقد رأيْتُ قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فَرَوْا رَأْيَكُمْ [٨٢٠].

رسول الله يرسل لقريش خراش بن أمية الخزاعي

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أهل العلم، أنَّ رسول الله ﷺ دَعَا خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ فبعثه إلى قُرَيْشٍ بمكَّة، وحمله على بعيرٍ له يقالُ له: الثَّعْلَبُ؛ لِيُبَلِّغَ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيشُ، فَخَلَّوْا سبيله حَتَّىٰ أَتَىٰ رسول الله ﷺ [٨٢١].

قريش ترسل العيون لاستطلاع أخبار النبي

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعض من لا أتهم، عن عِكْرَمَةَ مولى ابن عباس، عن ابن عباس، أن قرشياً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم، أو خمسين رجلاً، وأَمَرُوهُمْ أن يطيفوا بِعَسْكَر رسول الله ﷺ؛ ليصيبوا لهم مِنْ أصحابه أحداً، فأُخِذُوا أَخْذاً، فأُتِيَ بهم رَسُولُ الله ﷺ فعفا عنهم (٢١٢/ ب)، وخلَّىٰ سبيلهم، وقد كانوا رَمَوْا في عَسْكَرِ رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْلِ.

رسول الله يبعث عثمان بن عفان

ثم دعا عُمَرَ بْنَ الخطاب ليبعثه إلى مَكَّة، فيُبَلِّغ عنه أشراف قريشٍ ما جاء له، فقال: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنِّي أَخَافُ قريشاً على نفسي، وليس بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بن كعب أَحَدٌ يمنعني، وقد عَرَفَتْ قريش عداوتي إياها، وغِلْظَتِي عليها، ولكِّني أَدُلُّكَ على رَجلٍ أَعَزَّ بها مني عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشرافِ

---

[٨٢٠] تقدم تخريجه.

[٨٢١] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣١) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٩١).

قريشٍ يخبرهم أنه لم يَأْتِ لحربٍ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيتِ ومُعَظِّمَاً لحرمته.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمانُ إلى مكَّة فلقيه أَبَانُ بن سَعِيدِ بن العاص، حين دَخَلَ مكَّة أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بَلَّغَ رسالة رَسُولِ اللّهِ ﷺ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سفيان وعُظَمَاءَ قريشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عن رسولِ اللّهِ ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمانَ حِينَ فَرَغَ من رسالة رسولِ اللّهِ ﷺ إليهم: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالبَيْتِ فَطُفْ، فَقَالَ: مَا كُنتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ والمُسْلِمِينَ أَنَّ عثمان بن عفان قَدْ قُتِلَ [٨٢٢].

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

سبب البيعة

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قال ـ حين بَلَغَهُ أَنَّ عثمان قَدْ قُتِلَ ـ: «لاَ نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ» فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ النَّاسَ إلى البيعةِ، فَكَانَتْ بيعةُ الرضوان تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَكَانَ الناس يَقُولُونَ: بايعهم رسولُ اللّهِ ﷺ على الموتِ، وَكَانَ جَابِرُ بن عبد الله يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لم يُبَايِعْنَا عَلَىٰ المَوْتِ، ولكن بَايَعَنَا على أَنْ لاَ نَفِرَّ؛ فبايع رسولَ الله ﷺ الناسُ.

لم يتخلف عن البيعة إلا الجد بن قيس

ولم يَتَخَلَّفْ عنه أحدٌ من المسلمين حَضَرَهَا إلا الجَدُّ بنُ قَيْسٍ أخو بني سلمة، فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عبد الله يقول: والله، لَكَأَنِّي أَنْظُرَ إليه لاَصقاً بإِبطِ نَاقَتِهِ قَدْ ضبأ إليها[1] يَسْتَتِرُ بها مِنَ الناسِ، ثم أتى رسولَ اللّهِ ﷺ أَنَّ الذي ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عثمان باطلٌ [٨٢٣].

---

[٨٢٢] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣١) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٩١).
[٨٢٣] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣٢) من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٩١).

---

(١) قد ضَبَأَ إِلَيها يعني: قد لَصِق بها واستَتَر.

أول من بايع رسول الله

قال ابن هشام: فَذَكَرَ وَكِيعٌ، . عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، أن أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ رسولَ اللّهِ ﷺ بَيْعَةَ الرضوانِ أبو سنان الأسدي [٨٢٤].

رسول الله يبايع لعثمان بن عفان

قال ابن هشام: وحدَّثني مَنْ أَثِقُ به، عَمَّنْ حَدَّثَهُ بإسنادٍ له، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عمر، أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ بَايَعَ لعثمان، فَضَرَبَ بإحدىٰ يَدَيْهِ عَلَى الأخرى [٨٢٥].

أَمْرُ الهُدْنَةِ

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بَعَثَتْ قريشٌ سُهَيْلَ بن عَمْرو أَخَا بني عامر بن لؤي إلى رسولِ اللّهِ ﷺ وقالوا له: ائتِ محمداً فَصَالِحهُ وَلاَ يَكُنْ في صُلْحِهِ إلاَّ أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هذا، فوالله، لا تُحَدِّثُ العربُ عَنَّا أنه دَخَلَها علينا عَنْوَةً أبداً، فأتاه سُهَيْل بْنُ عمرو، فلمَّا رآه رسولُ اللّهِ ﷺ، مقبلاً قال: «قَدْ أَرَادَ القَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هذَا الرَّجُلَ» فلمَّا انتهى سُهَيْلُ بْنُ عمرو إلى رسولِ اللّهِ ﷺ، تَكَلَّمَ فَأَطَالَ الكَلاَمَ، وَتَرَاجَعَا، ثم جرى بينهما الصلحُ.

عمر بن الخطاب يتألم لصلح القوم

فلما التأم الأمرُ ولم يَبْقَ إلاَّ الكتابُ وَثَبَ عمرُ بْنُ الخطابِ فَأَتَى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسولِ اللّهِ (٢١٣/أ)؟ قال: بلى، قَالَ: أَوَلَسْنَا بالمسلمين؟ قَال: بلى، قال: أَوَ لَيْسُوا بالمشركين؟ قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[1] في دِينِنَا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يا عُمَرُ، الْزَمْ غَرْزَهُ[2] فإنِّي أَشْهَدُ أنه رسولُ اللّهِ، قال عمر: وأنا أشهدُ أنه رسولُ اللّهِ، ثم أتى رسولَ اللّه ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللّهِ، ألستَ برسولِ الله؟ قال: بلى، قال: أَوَلَسْنَا بالمسلمين؟

---

[٨٢٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٩١) من طريق ابن هشام.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣٢) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٣٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي به.

[٨٢٥] إسناده ضعيف وفيه مجاهيل.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٩١ ـ ١٩٢) من طريق ابن هشام.
وقال ابن كثير: وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف لكنه ثابت في الصحيحين.

---

(١) الدَّنِيَّةُ: الذُلّ والأمر الخَسيسُ.
(٢) الزَمْ غَرْزَهُ، الغَرْزُ لِلرَّحلِ: بمنزلةِ الرِّكابِ للسَّرْجِ. وَعَنى به: ٱلْزَم أَمْرَهُ ولا تُفَارِقْه.

قَالَ: بلى، قال: أَوَلَيْسُوا بالمشركين؟ قَالَ: بَلَىٰ، قال: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدنيةَ في دِيننا، قال: «أَنَا عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضِيعَنِي» قال: فَكَانَ عمر يَقُولُ: ما زلتُ أَتَصَدَّقُ وأصومُ وأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنَ الذي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ: مخافة كَلامي الَّذي تَكَلَّمْتُ بِهِ حِينَ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْراً.

كتابة عقد الصلح

قال: ثم دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب[1] (رضوان الله عليه)، فقال: اكتبْ: بِسْمِ الله الرحمن الرحيم، قَالَ: فقال سهيل: لا أعرفُ هذا، وَلَكِنْ اكتبْ باسمك اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: اكتبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَكَتَبَهَا، ثم قال: اكْتُبْ هذا مَا صَالَحَ عليه محمدٌ رسولُ الله سُهَيْلَ بْنَ عمرو، قال: فقال سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رسول اللّهِ لم أُقاتِلْكَ؛ ولكن اكْتُبْ اسمَكَ واسْمَ أَبِيكَ، قال: فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: اكتبْ هذا ما صَالَحَ عليه محمدُ بْنُ عبد الله سُهَيْلَ بن عمرو، اصْطَلَحَا عَلَىٰ وَضْعِ الحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سنين، يَأْمَنُ فيهنَّ النَّاسُ، ويَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، على أنه مَنْ أتَى محمداً مِنْ قريش بغير إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّه عليهم، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشاً ممن مع محمد لم يَرُدُّوه عليه، وأن بيننا عَيْبَةً مَكْفُوفَة[2] وأنه لا إسلال ولا إغلال[3] وأنه مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دخَلَ فيه، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ قريشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فيه، فَتَوَاثَبَتْ خزاعةُ، فقالوا: نحن في عَقْدِ محمدٍ وَعَهْدِهِ، وتواثبتْ بنو بكرٍ فقالوا: نحن في عَقْدِ قريشٍ وَعَهْدِهِمْ، وأنك تَرْجِعُ

---

(١) الذي كتب كتابَ الصُلْح بينَ رسُول الله ـ ﷺ ـ وبَيْنَ سُهَيلٍ، عليُ بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كما رَوَاه البُخَاري في كتَابِ الصلح عن البراء بن عَازِب ـ رضي الله عنهما ـ، وعمر بن شَبَّة من حَدِيثِ سَلَمَة بن الأكوع، وإِسْحَاق بن رَاهويه عن الزُّهْرِي. وَرَوَى عُمَرُ بنُ شبة عن عَمْرو بن سُهيل بن عمرو عن أَبيه قال: الكتاب عندنا كَتَبَهُ محمد بن مَسْلَمة، ويُجْمَع بأن أصل كتاب الصلح؛ بخَطِّ علي ـ رضي الله عنه ـ كما في الصَّحيح، ونَسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو، وقال الحافظ: ومن الأَوْهَام مَا ذَكَرَهُ عُمَر بن شَبَّة بَعْدَ أن رَوى أَن اسم كاتب الكتاب بين المسلمين وقريش علي بن أَبي طَالِب مِنْ طُرُق، ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقٍ آخر أَنَّ اسْمَ الكَاتِب محمد بن مَسْلَمَة، ثم قَالَ: حَدَّثَنَا يزيد بن عائشة عن يزيد بن عبيد الله بن محمد التيمي قال: كان اسم هشام بن عكرمة بغيضاً، وهو الذي كتب الصحيفة فَشُلَّت يَدُه فَسَمَّاه رسولُ الله ـ ﷺ ـ هِشَاماً.
قَالَ الحافظ: وهو غَلط فاحِش، فإِنَّ الصَّحِيفة الَّتِي كَتَبَها هِشَام بن عِكْرِمَة هي التي اتَّفَقَتْ عليها قُريش لما حَصَرُوا بني هاشم وبني عبد المطلب في الشِّعْب، وذلك بمكة قَبْلَ الهِجْرَة ـ أَيْ كَمَا سبق، فَتَوَهَّمَ عُمَرُ بن شَبَّة أَن المراد بالصحيفة كتاب القصة التي وَقَعَتْ بالحُدَيْبِيَة، وليست كذلك، بل بينهما نحو عشر سنين. ينظر السبل ٥/ ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) أَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مكفوفَةً: هي استعارةٌ، وإِنَّما يريد: أَنَّكَ تَكُفّ عَنّا ونَكُفُّ عنك.

(٣) لا إِسْلاَلَ ولا إِغْلاَلَ، الإِسْلاَلُ: السَّرِقَةُ الخفيَّة، والإِغْلاَلُ: الخِيانَةُ.

عنا عَامَكَ هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خَرَجْنَا عنك فدخلتها بأَصْحَابِكَ فأقمتَ بها ثلاثاً مَعَكَ سِلاَحُ الراكبِ السيوفُ في القُرُبِ، لا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا.

أمر أبي جندل بن سهيل بن عمرو

فبينا رسولُ الله ﷺ يَكْتُبُ الكِتَابَ هو وسُهَيْلُ بن عمرو إذ جاءَ أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرْسُفُ[1] في الحديدِ قَدِ انْفَلَتَ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ، وقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ خَرَجُوا وهم لا يَشُكُّونَ في الفتحِ لِرُؤْيَا رآها رسولُ اللّهِ ﷺ، فلمَّا رَأَوْا ما رَأَوْا من الصلحِ والرُّجُوعِ ومَا تَحَمَّل عليه رسولَ الله ﷺ في نَفْسِهِ دَخَلَ على النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، حتى كَادُوا يَهْلِكُونَ، فَلمَّا رأىٰ سهيلٌ أبا جندلَ قامَ إليه فَضَرَبَ وَجْهَهُ، وأَخَذَ بِتَلْبيبه، ثم قال: يَا مُحَمَّدُ، قد لَجَّت القضية[2] بيني وبينك قَبْلَ أَنْ يأتيك هذا، قال: «صَدَقْتَ» فَجَعَلَ ينتره[3] بتلبيبه ويجرُّه ليردَّه إلى قريشٍ، وَجَعَلَ أبو جندل يَصْرُخ بأعلى صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين يَفْتِنُونني في دِيني؟!! فَزَادَ ذلك الناسَ إلى ما بِهِمْ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِر وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرجاً وَمَخْرَجاً؛ إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ صُلْحاً وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللّهِ وَإِنَّا لاَ نَغْدِرُ بِهِمْ» قال: فَوَثَبَ عُمَرُ بْنُ الخطابِ مَعَ أبي جندل يَمْشِي جنبه ويقولُ: اصْبِرْ يا أبا جندل، فإنَّما هم المشركون وَإِنَّما دَمُ أحدِهم دَمُ كَلْبٍ، قال: ويُدْنِي قَائِمَ السيفِ (٢١٣/ب) منه، قال: يقولُ عمر: رَجَوْتُ أن يَأْخُذَ السيفَ فَيَضْرِبُ به أَبَاه، قال: فَضَنَّ الرَّجُلُ بأبيه[4]، وَنَفَذَتِ القضيةُ.

شهود عقد الصلح

فلمَّا فرغ من الكتابِ أُشْهِدَ على الصلحِ رجال من المسلمين ورجال من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عَوْفٍ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومِكْرَزُ بن حَفْص وهو يومئذ مشرك، وعليُّ بن أبي طالب، وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة [٨٢٦].

---

[٨٢٦] تقدم تخريجه.

وهو حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في صلح الحديبية.

---

(١) يَرْسُفُ. أي: يمشِي مَشيَ المُقَيَّدِ.

(٢) قد لَجَّتِ القَضِيَّةُ. معناه: انْعَقَدَتْ وَتَمَّتْ.

(٣) يَنْتُرهُ أي: يَجْذُبُه جَذْباً شديداً عنيفاً.

(٤) فَضَنَّ الرجلُ بأبيه. أي: بَخِلَ به ولم يُرِد أن يَقْتُلَه.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل[1]، وكان يصلي في الحرم.

رسول الله يتحلل من إحرامه

فلمَّا فَرَغَ مِنَ الصلحِ قَامَ إلى هَدْيه فَنَحَرَهُ، ثم جَلَسَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وكان الذي حَلَقَهُ ـ فيما بلغني في ذلك اليوم ـ خِرَاشُ بن أُمَيَّةَ بن الفضل الخزاعي، فلمَّا رَأَى الناسُ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قد نَحَرَ وَحَلَقَ تَوَائَبُوا يَنْحَرُون ويَحْلِقُونَ.

حلق رجال وقصر آخرون

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حَلَقَ رِجَالٌ يَوْمَ الحديبيةِ وقَصَّر آخرون، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللّهُ المُحَلِّقِينَ» قَالُوا: والمُقَصِّرِينَ يا رَسُولَ الله؟ قال: «يَرْحَمُ اللّهُ المُحَلِّقِينَ» قالوا: والمُقَصِّرِينَ يا رَسُولَ اللّهِ؟ قال: «يَرْحَمُ اللّهِ المُحَلِّقِينَ» قالوا: والمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قال: «والمُقَصِّرِينَ» فقالوا: يا رسول الله، فلم ظاهرت الترحيم[2] للمحلقين دون المقصرين؟ قال: «لم يشكوا» [٨٢٧].

رسول الله يهدي جملاً في أنفه برة من فضة

وقال عبد الله بن أبي نجيح: حدثني مجاهد، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ أَهْدَى عَامَ الحديبيةِ في هَدَاياهُ جَمَلاً لأبي جَهْلٍ فِي رَأْسِهِ بُرَةٌ مِنْ فِضَّةٍ[3] يَغِيظُ بذلك المُشْرِكِينَ [٨٢٨].

---

[٨٢٧] أخرجه البخاري (٣/ ٥٦١) كتاب الحج: باب الحلق والتقصير عند الإحلال، حديث (١٧٢٧)، ومسلم (٢/ ٩٤٥)، كتاب الحج: باب تفضيل الحلق على التقصير، وجواز التقصير، حديث (٣١٧/ ١٣٠١).

وأبو داود (٢/ ٦٠٦) كتاب المناسك: باب الحلق والتقصير. حديث (١٩٧٩) والترمذي (٣/ ٥٦٤ ـ تحفة) كتاب الحج باب من ما جاء في الحلق والتقصير، حديث (٩١٦) وابن ماجه (٢/ ١٠١٢) كتاب المناسك: باب الحلق حديث (٣٠٤٤).

[٨٢٨] إسناده حسن. =

---

(١) كان مضطرباً في الحِلّ. معناه: أن أبْنِيَتَهُ كانت مَضروبةً في الحِلّ وكانت صَلاتُه في الحَرَمِ وهذا لقُرْبُ الحُدَيْبِيَة من الحَرَم.

(٢) فَلِمْ ظاهَرْتَ التَّرْحِيمَ أي: لِمَ قَوَّيْتَه بتَكْريرك إيّاه، والمُظاهَرة: القُوَّة والمُعاونَة.

(٣) البُرَةُ: حَلْقَةٌ تُجْعَل في أنف البَعير لِيَذِلَّ ويرتاضَ، وأَكْثرُ ما تكونُ من صُفْرٍ وإن كانت من شَعَرٍ فهي: خِزَامَةٌ، وإن كانت من خَشَبٍ فهي: خِشَاشٌ.

رجوع الرسول ونزول سورة الفتح

قال الزهري في حديثه: ثم انْصَرَفَ رسولُ اللّهِ ﷺ من وَجْهِهِ ذلك قافلاً، حتى إذا كان بَيْنَ مَكَّةَ والمدينةَ نَزَلَتْ سورةُ الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ ثم ذَكَرَ مَنْ تخلَّف عَنْهُ مِنَ الأعرابِ، ثم قَالَ حين استنفرهم للخروجِ مَعَهُ فأبطأوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ ثم القصة عَنْ خَبَرِهم حتى انتهى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾ ثم القصة عَنْ خَبَرِهِمْ وَمَا عَرَضَ عليهم مِنْ جِهَادِ القومِ أولِي البأسِ الشديدِ [٨٢٩].

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي نجيح، عَنْ عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: فارس [٨٣٠].

قال ابن إسحاق: وحدثني مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنِ الزهري، أنه قال: أولو البأسِ الشديدِ: حَنِيفَةُ مع الكَذَّاب[1] [٨٣١].

= أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٥) كتاب الحج باب في الهدي حديث (١٧٤٩) وأحمد (١/ ٢٠٦) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥٢) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٩١ ـ ٩٢) رقم (١١١٤٧، ١١١٤٨) كلهم من طريق ابن إسحاق به.

وله طريق آخر:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٠٣٥) كتاب المناسك باب الهدي من الإناث والذكور حديث (٣١٠٠) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٧٨) رقم (١٢٠٥٧) من طريق سفيان عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس به.

[٨٢٩] تقدم تخريجه من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

[٨٣٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٥٢) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٦٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قلت: وعلي عن ابن عباس منقطع.

[٨٣١] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٥٢) عن ابن إسحاق عن الزهري.

وقد دلسه ابن إسحاق فأسقط شيخه.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٦) عن الكلبي.

---

(١) حَنِيفَةُ مع الكَذَّاب، الكَذَّاب هنا: هو مُسَيْلَمةُ.

ثم قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (٢١٤ ا).

ثم ذَكَرَ مَحْبَسَهُ وكَفَّهُ إيَّاه عَنِ القِتَال بَعْد الظفرِ منه بهم، يَعْنِي: النفرَ الذي أَصَابَ منهم وكَفَّهُمْ عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ ثم قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [٨٣٢].

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة [من الخفيف]:

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْـ ... ـكُ بِعِطْفَيْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ[1]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

قال ابن إسحاق: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والمَعَرَّة: الغُرْم، أي: أَنْ تُصِيبُوا مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ علمٍ فَتُخرِجُوا دِيَتَهُ، فأما إثْمٌ، فلم يَخْشَهُ عليهم [٨٣٣].

قال ابن هشام: بَلَغَنِي عَنْ مجاهد أنه قال: نَزَلَتْ هذه الآيةُ في الوليدِ بْنِ الوليد بن المغيرة وَسَلَمَةَ بن هشام، وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وأبي جُنْدَلِ بن سهيل، وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قَالَ (تبارك وتعالى): ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ يَعْنِي: سُهَيْلَ بْنَ عمرو حِينَ حَمِيَ أَنْ يكتبَ بسم الله الرحمن الرحيم وَأَنَّ محمداً رسول الله، ثم قال (تعالى): ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ

---

[٨٣٢] ينظر «تفسير الطبري» (٢٦/ ٥٣، ٦٥).
[٨٣٣] ينظر تفسير الطبري (٢٦/ ٥٣).

---

(١) السُّموطُ: جمعُ سِمْطٍ وهو ما تَعَلَّقَ من القِلادَةِ على الصَّدْرِ، والسِّلْكُ: الخَيط الَّذي يُنْظَمُ فيه، والجَيْداءُ: الطويلَةُ الجيد. والجيدُ: العُنُق.
وينظر ديوانه ص ٥٥؛ ولسان العرب ٩/ ٢٥٥ (عكف)؛ وتهذيب اللغة ١/ ٣٢١؛ وتاج العروس ٢٤/ ١٨٠ (عكف)؛ وأساس البلاغة (عكف)؛ وكتاب العين ١/ ٢٠٦؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ١٠٩؛ والمخصّص ٤/ ٤٦.

﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ أي: التوحيد شهادةَ أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثُمَّ قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ أي: لرؤيا رسول الله ﷺ رَأَى أنه سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمناً لا يَخَافُ، يَقُولُ: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ معه ﴿لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ﴾ من ذلك ﴿مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] صلح الحديبية، يقول الزهري: فما فُتِحَ في الإسلام فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمُ منه، إِنَّما كَانَ القتالُ حَيْثُ الناسُ، فلمَّا كَانَتِ الهدنةُ ووُضِعَت الحربُ وَأَمِن الناسُ بَعْضُهُمْ بعضاً والْتَقُوا فَتَفَاوَضُوا في الحديثِ والمنازعةِ ولم يُكَلِّمْ أحدٌ في الإسلام يَعْقِلُ شيئاً إلا دَخَلَ في تينك السنتين مثل من كان في الإِسلام قبل ذلك أو أكثر [٨٣٤].

قال ابن هشام: والدليلُ على قَوْلِ الزهري أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ خَرَجَ إلى الحديبيةِ في ألفٍ وأربعمائة في قَوْلِ جابر بن عبد الله، ثم خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ، بعد ذلك بسنتين، في عشرةِ آلافٍ [٨٣٥].

مَا جَرَىٰ عَلَيْهِ أَمْرُ قَوْمٍ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ بَعْدَ الصُّلْحِ

أمر أبي بصير عتبة بن أسيد

قال ابن إسحاق: فلما قَدِمَ رسولُ اللّهِ ﷺ المدينةَ أتاه أبو بَصِيرٍ عُتْبَةُ بن أسيد بن جارية، وكان ممن حُبِس بمكَّةَ، فلمَّا قَدِمَ على رسولِ اللّهِ ﷺ كَتَبَ فيه أَزْهَرُ بن عبد عَوْفِ بن عبد الحرث بن زُهْرَةَ والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبَعَثَا رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم، فَقَدِمَا على رَسُولِ الله ﷺ بكتابِ الأزهر والأخنسِ؛ فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «يا أبا بَصِيرٍ، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلاءِ القَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلاَ يَصْلُحُ لَنَا في دِينِنَا الغَدْرُ، وَإِنَّ الله جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً»، فَانْطَلَقْ إِلىٰ قَوْمِكَ» قال: يا رسولَ اللّهِ، أترُدُّني إلى المُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي في ديني؟ قال: «يَا أَبَا بَصِيرٍ انْطَلِقْ (٢١٤/ب)، فَإِنَّ الله تعالى سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً، فانطلقَ مَعَهُمَا، حتَّى إذا كان بذي الحُلَيْفَةِ جَلَسَ إلى جدارٍ، وَجَلَسَ معه صاحبَاهُ، فقال أبو بصير: أَصَارِمٌ سَيْفُكَ هذا يا أخا بني عامر؟ فقال نَعَمْ،

---

[٨٣٤] ينظر «تفسير الطبري» (٢٦/ ٦٨ ـ ٦٩).

[٨٣٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٤).

قال: أَنْظُرُ إليه؟ قال: انْظُرْ إِنْ شِئْتَ، قال: فاسْتَلَّهُ أبو بصير، ثم علاه به حتى قَتَلَهُ، وَخَرَجَ المولى سريعاً حتى أتى رسولَ اللّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، فلما رآه رسولُ اللّهِ ﷺ طَالِعاً قال: «إِنَّ هذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فَزَعاً» فَلَمَّا انتهى إلى رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «ويْحَكَ!! مَالَكَ؟» قال: قَتَلَ صَاحِبُكُمْ صَاحِبِي، فوالله، مَا بَرَحَ حَتَّى طَلَعَ أبو بصير مُتَوَشِّحاً بالسَّيْفِ حتى وَقَفَ على رسولِ اللّهِ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللّهِ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وَأَدَّى اللّهُ عَنْكَ أَسْلَمْتَنِي بيدِ القومِ، وَقَدِ امْتَنَعْتُ بِدِيني أَنْ أُفْتَنَ فيه أو يُعْبَثَ بي، قال: فَقَالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشّ حَرْبٍ[1] لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ» ثم خَرَجَ أبو بصير حتى نَزَلَ العِيصَ مِنْ ناحية ذِي المَرْوَةَ على سَاحِلِ البَحْرِ بطريقِ قُرَيْشٍ التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبِسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رسولِ اللّهِ ﷺ لأبي بَصِيرٍ «وَيْلُ أمه مِحَشّ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ» فَخَرَجُوا إلى أبي بصير بالعيصِ، فَاجْتَمَعَ إليه منهم قريبٌ من سَبْعِينَ رَجُلاً، وكَانُوا قد ضَيَّقُوا على قريش: لا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ منهم إلاَّ قَتَلُوهُ، وَلا تمرُّ بهم عِيرٌ إلاَّ اقْتَطَعُوهَا، حتى كَتَبَتْ قُرَيْشٌ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ تَسْأَلُهُ بِأَرْحَامِهَا إلاَّ آواهم، فلا حَاجَة لهم بهم، فآواهم رسولُ اللّهِ ﷺ، فَقَدِمُوا عليه المدينة [٨٣٦].

قال ابن هشام: أبو بصير ثقفي.

كلمة لأبي أنيس موهب بن رباح في حادث أبي بصير

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا بَلَغَ سهيلُ بْنُ عمرو قَتْلُ أبو بصير صَاحِبَهُمْ العامريَّ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى الكعبةِ ثم قال: واللّهِ، لا أَؤخر ظَهْرِي عَنِ الكعبةِ حتى يُودَى هذا الرجلُ، فقال أبو سفيان بن حرب: والله، إِنَّ هذا لهو السَّفَه، والله، لا يُودَى، ثلاثاً، فقال في ذلك موهَبُ بن رباح أبو أُنَيْسٍ حليفُ بني زهرة.

قال ابن هشام: أبو أنيس أشعريٌّ [من الوافر]:

أَتَانِي عَنْ سُهَيْلٍ ذَرْءُ قَوْلٍ ... فَأَيْقَظَنِي وَمَا بِي مِنْ رُقَادِ[2]

فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابَ تُرِيدُ مِنِّي ... فَعَاتِبْنِي فَمَا بِكَ مِنْ بِعَادِ

---

[٨٣٦] تقدم تخريجه.

---

(١) مِحَشّ حَرْبٍ. أي: مُوقِدَ حَرْبٍ ومُهَيِّجَها، يُقال: حَشَّ النارَ يُحشُّها: إذا أَوْقَدَها وضمّ الحَطَب إليها.

(٢) أتاني عن سُهَيْلٍ ذَرْءُ قَوْلٍ، أي: طَرَفُ قول، وهو مَهموزٌ، ويُرْوَى: ذَرْوُ قولٍ بالواو، والصَوابُ فيه الهَمْزُ، كذا قالَ الخشني.

أَتُوعِدُنِي وَعَبْدُ مَنَافَ حَوْلِي ... بِمَخْزُومٍ؟ أَلْهَفِي مَنْ تُعَادِي[1]
فَإِنْ تَغْمِزْ قَنَاتِي لاَ تَجِدْنِي ... ضَعِيفَ الْعُودِ فِي الْكُرَبِ الشِّدَادِ
أُسَامِي الأَكْرَمِينَ أَبًا بِقَوْمِي ... إِذَا وَطِيءَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أُرَادِي[2]
هُمُ مَنَعُوا الظَّوَاهِرَ غَيْرَ شَكٍّ ... إِلَى حَيْثُ الْبَوَاطِنُ فَالْعَوَادِي[3]
بِكُلِّ طِمِرَّةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينَ مِنَ الطِّرَادِ[4]
لَهُمْ بِالْخِيفِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... رِوَاقُ الْمَجْدِ رُفِّعَ بِالْعِمَادِ[5]

عبد الله بن الزبعرى يجيب أبا أنيس

فَأَجَابَهُ عَبْدُ الله بن الزِّبَعْرَىٰ، فقال [من الوافر]:

أَمُسَيْ مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَوْءٍ ... أَجَازَ بِبَلْدَةٍ فِيهَا يُنَادِي
فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لاَ يُنَاوِي ... سُهَيْلاً ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعَادِي[6]
فَأَقْصِرْ يَاابْنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ ... وَعَدَّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلاَدِ[7]
وَلاَ تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ ... فَهَيْهَاتَ الْبُحُورُ مِنَ الثِّمَادِ

أمر المؤمنات المهاجرات بعد الهدنة

وَهَاجَرَتْ إلى رَسُولِ الله ﷺ أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عُقْبَة بن أبي مُعَيْطٍ في تِلْكَ المُدَّةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عِمَارة والوَلِيدُ ابنا عُقْبَة حتى قَدِمَا على رسول (٢١٥/أ) الله ﷺ يَسْأَلاَنِهِ أَنْ يَرُدَّهَا عليهما بالعهدِ الذي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قريشٍ في الحديبيةِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، أَبَى اللّهُ ذلك [٨٣٧].

قال ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عن عُرْوة بن الزبير، قال: دَخَلْتُ عليه وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هُنَيْدة صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ

---

[٨٣٧] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٤٠) عن ابن إسحاق.

---

(١) أَتُوعِدُني. معناه: تُهَدِّدُني.
(٢) أُسامِي أي: أُعالي. أُرَادِي أي: أُرَامي، يقال: رادَيْتُه: إذا رامَيْتَهُ.
(٣) الظواهِرُ: ما عَلا من مَكة. والبَواطِنُ: ما انْخَفَض منها، والعَوادِي هنا: جَوانِبُ الأَوْدِية.
(٤) طِمِرَّةٌ: فَرَسٌ وثّابةٌ سرِيعَةٌ، ونَهْدٌ أَي: غَليظٌ، وسَواهِمُ أي: عَوابِسُ مُتَغيرةٌ، وطُوِينَ أَيَ: ضَعُفْنَ وضَمُرْنَ.
(٥) الخِيفُ: مَوْضِعٌ بـ «مِنَى»، والرِّواقُ: ضَرْبٌ منَ الأَخْبِية. ينظر البيت الأول في لسان العرب (ذرا).
(٦) فإنّ العَبْدَ مِثْلَكَ لا يُنَاوِي، أي: لا يُعادِي، وأصْلُه الهَمْزُ فَتَرَكَ هَمْزَهُ؛ لِضَرورَةِ الشِّعْر.
(٧) القَيْنُ: الحَدّادُ.

فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾.

قال ابن هشام: واحدة العِصَم: عِصْمَة، وهي الحَبْل والسَّبَب، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة [من المتقارب]:

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرَى ... وَنَأْخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عِصَمْ[1]

وهذا البيت في قصيدةٍ له.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٠] قال: فكتب إليه عُرْوَةُ بن الزبير أن رسول الله ﷺ كان صَالَحَ قريشاً يَوْمَ الحديبية على أَنْ يَرُدَّ عليهم مَنْ جَاءَ بغير إِذْنِ وليه، فَلَمَّا هَاجَرَ النساءُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى الإسلام أبى الله أن يُرْدَدْنَ إلى المشركين إذا هُنَّ امْتُحِنَّ بِمِحْنَةِ الإسلامِ فَعُرِفُوا أَنَّهُنَّ إِنَّما جِئْنَ رغْبَةً في الإسلامِ، وَأَمَرَ بِرَدِّ صَدُقَاتِهِن إليهم إن احْتَبَسن عنهم إن هم رَدُّوا على المسلمين صَدَاق من حَبَسُوا عنهم مِنْ نِسَائِهِمْ، ذَلِكُمْ حُكْمُ الله يحكم بينكم والله عليمٌ حكيمٌ، فَأَمْسَكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ، وَرَدَّ الرجالَ، وَسَأَلَ الذي أَمَرَهُ الله به أَنْ يَسْأَل مِنْ صَدُقات نِسَاءِ مَنْ حَبَسُوا مِنْهُنَّ، وَأَنْ يردّوا عليهم مثل الذي يردُّون عليهم إِنْ هُمْ فَعَلُوا، ولولا الذي حَكَمَ الله به من هذا الحكم لردَّ رَسُول الله ﷺ النِّسَاءَ، كما ردَّ الرِّجَالَ، ولولا الهدنةُ والعَهْدُ الذي كَانَ بينه وَبَيْنَ قُرَيْشٍ يَوْمَ الحديبيةِ، لأَمْسَكَ النِّسَاءَ ولم يَرْدُدْ لهنَّ صَدَاقاً، وَكَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ بمن جَاءَهُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ قَبْلَ العهدِ.

قال ابن إسحاق: وسألتُ الزهريَّ عن هذه الآية وقول الله (عزَّ وجلَّ) فيها: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [الممتحنة: ١١] فقال: يقولُ: إِنْ فَاتَ أحداً مِنْكُمْ أَهْلُهُ إلى الكُفَّارِ، ولم تأتكم امرأةٌ تَأْخُذُونَ بها مثل الذي يَأْخُذُونَ مِنْكُمْ، فَعَوِّضُوهُمْ مِنْ فَيْءِ إِنْ أَصَبْتُمُوهُ [٨٣٨].

فلما نَزَلَتْ هذه الآيةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ ﴾ إلى قوله عز

---

[٨٣٨] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٥٠) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) ويروى هذا البيت هكذا:

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى ... وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ

ينظر: ديوانه ص ٨٧؛ والخصائص ٢/ ٩٧؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٤٧٧؛ وشرح شواهد الشافية ص ١٩١؛ وبلا نسبة في رصف المباني ص ٣٥؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٧٦؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٩؛ وشرح المفصل ٩/ ٧٠؛ ولسان العرب ٩/ ١١٢ (رأف).

وجل: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] كان ممن طَلَّقَ عُمَرُ بن الخطاب طَلَّقَ امرأَتهُ قُرَيْبَةَ ابنة أبي أمية بن المغيرة، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ معاويةُ بْنُ أبي سفيان، وهما على شِرْكِهِمَا بِمَكَّةَ، وَأُمَّ كُلثُوم بنت جَرْوَل أمّ عُبَيْد الله بن عمر الخُزَاعِيَّةَ فتزوَّجَها أَبُو جَهْم بْنُ حُذَيْفَة بن غانم، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، وهما على شِرْكِهِمَا [٨٣٩].

قال ابن هشام: حدثنا أبو عبيدة أَنَّ بَعْضَ مَنْ كَانَ مع رَسُولَ اللّهِ ﷺ، قال له لما قَدِمَ المدينةَ: أَلَمْ تَقُلْ يا رسولَ اللّهِ، إِنَّكَ تَدْخُلُ مَكَّةَ آمناً؟ قال: «بَلَى (٢١٥/ ب) أَفَقُلْتُ لَكُمْ مِنْ عَامِيَ هَذَا؟» قَالُوا: لا، قال: «فَهُوَ كَمَا قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السلام».

---

[٨٣٩] ينظر «تفسير عبد الرزاق» (٣٢٠٥) و«تفسير الطبري» (٤٧/٢٨).

obeikandl.com